الفروقات الجلية

بين

العقيدة السنية النقية

وما

يعتقده الأشاعرة الماتريدية

الطبعة الأولى

٢٠٢٣ م - ١٤٤٥ هـ

الطبعة الثانية

٢٠٢٤ م - ١٤٤٦ هـ

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢٣ / ١٠ / ٥٣٥٢)

الطويل، فرحات درويش فرحات

الفروقات الجلية بين العقيدة السنية النقية وما يعتقده الأشاعرة الماتريدية / فرحات درويش فرحات الطويل / المؤلف / عمان / ٢٠٢٣
(٣٥) صفحة الطبعة الأولى
(٥٨) صفحة الطبعة الثانية
ر.إ.: (٢٠٢٣ / ١٠ / ٥٣٥٢)
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الفروقات الجلية

بين
العقيدة السنية النقية
وما يعتقده
الأشاعرة الماتريدية

تقديم فضيلة الشيخ

سليم بن عيد الهلالي

حفظه اللّه

بقلم

فرحات الطويل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الشيخ سليم بن عيد الهلالي

الحمد لله حمدًا يرضيه والصلاة والسلام على من اجتمعت المحاسن واكتملت الفضائل فيه، أما بعد:

فقد شكَّلَ المذهب الأشعريُّ منهجًا جديدًا مُختلفًا عما كان عليه السَّلفُ الصالح المتقدمونَ منذُ أوَّلِ لحظةٍ من ظهوره؛ حيث أنَّ الأشعريِّة بعد انتقاله من الاعتزال اعتمدَ طريقةَ ابن كُلَّابٍ ومنهجَه في تأسيسِ العقائدِ،كما أقَّر بذلك الشهرستاني(١).

ومن حين ظهور المذهب الأشعريّ باعتباره مذهبًا عَقَدِيًّا بدعيًا له أصولٌ وعقائد خاصّة، اتخَذ منه أئمةُ أهل السنة والجماعة الذين هم أخبرُ بمذهب الأئمة المتقدمين وأعلمُ بمدلولاتها موقفًا واضحًا، وعدوه من الفرق الخارجة عن السنة التي كان عليها الصحابة وتلاميذُهم ومن جاء بعدهم من الأئمة المتبوعين؛ نتيجة لما تلبسَ به من أخطاء منهجية وعقدية.

---

(١) كما في الملل والنحل (١/ ٩١).

وهذه الرسالة المختصرة سارت على هذه السنن فبينت فروقًا رئيسية بين منهج السلف ومذهب الأشاعرة.

فجزى الله أخانا **فرحات الطويل** خيرًا ونفع به، وقد اطلعت عليها فوجدتها تستحق النشر.

وكتبه

سليم بن عيد الهلالي

١٣/ ٣/ ١٤٤٥ هجري

عمان – الأردن

***

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان؛ فترة من الرسل بقايا من أهل العلم؛ يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى..

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالّ تائه قد هدوه..

فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين..

الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا مقال الفتنة.. فهم مختلفون في الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم..

يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم..

فنعوذ بالله من فتن المضلين، وكذلك من دعا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا بكلامهم بشرًا كثير.

أما بعد:

يتصدر اليوم علماء ودعاة [ويُلمعون]، ينشرون أصول مذهبهم ومسائلهم، على أنها عقيدة أهل السنة والجماعة، ويدلّلون على زعمهم هذا بأدلة مبنية على فهمهم، وفهم سلفهم.

ويحسُن بالمسلم، [الذي يريد معرفة الحق والحقيقة في زعم من ينتسب إلى السُّنة الغراء، وحقيقة دعوة هؤلاء]، بأن يعرف أهمَ الأصول والمفارقات بينَ الدعوتين:

دعوة أهل الّسنة والجماعة أهل الحديث.

ودعوة أهل السّنة [كما ينعتون أنفسهم] **من الأشاعرة والماتريدية أهل الكلام**، والله الموفق لا ربّ سواه .

وقد عمدت في هذا البحث، على وجّازة العبارة ليتسنى فهمُها إذ أنّ مصطلحات القوم عسيرة وصعبة وبحاجة إلى مترجم حتى أنه بعض من ينتسب إلى مذهبهم لا يفهمها!!

كما عمدت الى سرد الأدلة مختصرة، وردّها إلى مراجعها، ومظانّها؛ كي لا نطيل، على القارئ الكريم، فالمقصود ذكرُ أهم الأصول والمفارقات..

هذا وكنت قد نشرتها على بعض مواقع التواصل الاجتماعي على هيئة تغريدات، فلما اطلع عليها بعض إخواننا من طلبة العلم، استحسنها؛ وأشار إليّ بطباعتها ونشرها وجعلها ورقات في كتيب صغير ليستفيد منها العدد الأكبر؛ والأكثر من أهلنا طلبة العلم فهي وبالله التوفيق وله الحمد؛ على وجازتها قد حوت على أهم المسائل؛ فهي خلاصة علمهم، بعبارات سهلة وجامعة مركزه، راجين من الله تعالى الزيادة والقبول.

وإليك، أخي الكريم أهمَ المفارقات والأصول التي خالفَ فيها القوم، مذهبَ أهل السنة والجماعة أهل الحديث..

والله هو الموفق للخيرات والمتمم للصالحات..

كتبه: فرحات الطويل



مدخل

التعريف بأهل السنة والجماعة (أهل الحديث)

هم الذين يعتمدون في استنباط الأحكام على النصوص؛ فلا يقدمون عليها رأيًا ولا قياسًا، وهم أصحاب الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والليث بن سعد، وأصحاب مالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأصحاب سفيان الثوري، وأحمد بن حنبل الشيباني، وشعارهم:

تعظيم السنة، وفهمها بفهم خير القرون من سلف الأمة وهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية بنص حديث رسول الله ﷺ وكيف لا يستحقون هذا اللقب؟!

وهم من سلك محجة الصالحين، واتبعوا آثار السلف الماضين، ودمغوا البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله أجمعين.

(فهم أركان الشريعة وهدم كل بدعة شنيعة، وهم أمناء الله من خليقته ،والواسطة بين النبي ﷺ وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، أنوارهم زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة وحججهم قاهره، وكل فئة تتحيز الى الهوى ترجع إليه أو تستحسن رأيا،

تعكف عليه؛ سوى أصحاب الحديث؛ فإن الكتاب عدتهم؛ والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، وإليه نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفون إلى الآراء، يقبل منهم ما روَّوا عن الرسول، وهم المأمونون عليه والعدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع، ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر، من كادهم: قصمه الله، ومن عاندهم: خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير)(١).



(١) انظر كتاب: شرف أصحاب الحديث للحافظ الخطيب البغدادي (ص١٥).

التعريف بالأشاعرة

هم فرقة تنتسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله، وقد مرَّ الأشعريُ بثلاث مراحل -كما ذكر ذلك ابن كثير والزبيدي وغيرهما- مرحلة الاعتزال، ثم متابعة ابن كُلاَّب، ثم موافقة أهل السنة، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد صرح الأشعري بهذا الموقف الأخير في بعض كتبه:

مثل: كتاب مقالات الإسلاميين.

وكتاب الإبانة.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه "الإبانة":

(قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين،

وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم...) انتهى كلامه.

فمن تابع الأشعري على هذه المرحلة، فهو موافق لأهل السنة والجماعة أهل الحديث، في أكثر المقالات، ومن لزم طريقته في المرحلة الثانية، فقد خالف الأشعري نفس!

* أما **الماتريدية** فهي: فرقة كلامية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي المتوفي سنة (٣٣٣هـ)، وخلافهم مع الأشاعرة محصور في مسائل يسيرة أوصلها بعضهم إلى ثلاث عشرة مسألة، والخلاف في بعضها لفظي.

وأصول مذهبهم مبني على كلام ثلاث رجال:

أبي بكر الباقلاني، وأبي المعالي الجويني، وأبي حامد الغزَّالي؛ وقد استفاض أيضًا في تأصيل مذهبهم أبو عبد الله فخر الدين الرازي.

***

أهم الفروقات الجليّة
بين
العقيدة السّنية الصافية النقيّة
وما يعتقده
الأشاعرة والماتريدية

* أولا:

مصادر التلقي

فيتفقُ الأشاعرةُ والماتُريدية، مع أهل السنة والجماعة أهل الحديث، بأن مصدر التلقي:

هو القرآن العظيم، والسنة النبوية الشريفة، وهو ما يصطلحون عليه بقولهم:(النقل)؛ يقولُ أبو حامد الغزّالي الطوسي الأشعري:

(وأهلُ النظر في هذا العلم يتمسكون أولاً بآيات الله تعالى من القرآن، ثم بأخبار الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم). انتهى كلامه.

إلا أن أهل السنة والجماعة أهل الحديث يُقدمون النقل على العقل إذا كان التعارض بينهما، بخلاف ما يعتقده الأشاعرة والماتُريدية.

فأهلُ السنة والجماعة يُسلمون التسليمَ المطلق للنقل، عند التعارض، ويؤمنون به، دون الاضطرار إلى دليلٍ عقلي يقتضيه.

فبمجرد ثبوت الخبر والنقل عن رسول ﷺ، وجبَ الإيمان والتسليم المطلق، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥]

وحادثةُ الإسراء والمعراج، لهي أعظمُ دليلٍ على صحة مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحديث، فكفارُ قريش كذبوا الخبر، وقدموا الدلائل العقلية، والإلزامات القياسية، بينما أبو بكر الصديق، سلم للخبر النقلي عن رسول الله ﷺ، وقال: (إن كان قد قاله فقد صدق).

فالنقلُ عند أهل السنة مقدمٌ على العقل، عند توهم المعارضة، وحاكمٌ عليه.

ثم إنّ أهل السنة، لا ينفون الدليل العقلي مطلقاً، فالدليل العقلي، مع النقل، كنور العين، مع المصباح، فالعينُ لا تضيء، ولا تبصرُ الطريق في الظلام، إلا إذا أوقدَ لها مصباحٌ أنارَ لها السبيل.

فكذلك العقلُ لا يهتدي، إلا إذا أوقد عليه مصباحُ ونورُ الوحي والنقل.

* **أما الأشاعرةُ والماتُريدية** أهل الكلام، قدموا العقل على النقل، توهماً منهم بالتعارضِ، فهم لا يمكنهم معرفة صحة الظواهر النقلية [يعني القرآن والسنة النبوية المتواترة]، إلا بمعرفة الدلائل العقلية.

فقطعوا بمقتضى الدلائل العقلية، على عدم صحة الدلائل النقلية عقلا، لا عن صنعةٍ واصطلاحا!!

وقالوا: الكتاب والسنة حجتُهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي، ولو كانت ثابتة، فالمرادُ بها غيرُ ظواهرها... وقد يعترِضُ معترض، فيقول: أين التوثيق، لذلك، وأن الأشاعرة يقدمون العقل على النقل عند التعارض؟

أقولُ: هذا هو قولُ علمائهم، وجموعِ مشيختهم، وشراح كتبهم ومتونهم.

وأنا سأكتفي بنقل كلامٍ لبعض علمائهم، مثل الفخر الرازي في كتابه "أساس التقديس" قال: (اعلم أنّ الدلائل القطعية العقلية، إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلةً نقلية يُشعرُ ظاهرهُا، بخلاف ذلك، فهناك لا يخلوا الحال من أمور أربعة:

١- إما أن يُصدق مقتضى العقل، والنقل، فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال.

٢- وإما أن نُبطلَهما، فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال.

٣- وإما أن نُكذب الظواهر النقلية، ونصدق الدلائل العقلية.

٤- وإما أن نصدق الظواهر النقلية، ونكذب الدلائل العقلية، وهذا باطل. لأنه لا يمكننا معرفة صحة الظواهر النقلية!!

قال: ولما بطلت الأقسام الثلاثة لم يبق إلا أن يقطع، بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة، وأن هذه الدلائل النقلية، إما ان يُقال إنها غيرُ صحيحة، أو يُقال: إنها صحيحة، إلا أنّ المراد منها غير ظواهرها...).

ويقولُ: عضد الدين الإيجي في كتابه "المواقف": (المقصد الثامن: الدلائل النقلية، هل تُفيدُ اليقين؟ قيل: لا... قال: ثم بعد الأمرين لا بدَّ من العلم، بعدم المعارض العقلي، إذ لو وجدَ لقُدم على الدليل النقلي، قطعاً، إذ لا يمكن العملُ بهما، ولا بنقيضِهما...).

بهذا النقل، تبين بأنّ مذهبَ الأشاعرة والماتُريدية، يُخالف مذهب أهل السنة والجماعة، في هذا الباب، وفي هذا الأصل العظيم، والعقد الفريد، الذي يتضح فيه، الإيمانُ والتسليم، أصلُ تقديم النقل، على العقل، ولا بد من معرفة، بأن العقلَ الصريح، يوافق النقل الصحيح، ولا يعارضه.

وليتَ الأمرَ قد توقف عند الأشاعرة والماتُريدية، عند هذا الخلاف، بل كفروا من قدمَ الأدلة النقلية الظاهرة، على الدلائل العقلية، يقول

السنوسي، كما في شرح أم البراهين: (أصول الكفر ستة ... ٦ – التمسك في أصول العقائد بظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل وهو أصل ضلال الحشوية ...).

ويقول الصاوي: (الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر)[١].



(١) كما في تعليقه على الجلالين (ج ٣ ص٩).

* ثانيًا:

في إثبات وجودِ الله تبارك وتعالى

* عند أصحاب الحديث:

إثبات وجودِ الله تبارك وتعالى والإيمان به؛ معلومٌ بالضرورة، والأدلة عليه في الكون غيرُ محصورة، والنفسُ والفطرة تشهدان بذلك؛ والآثارُ والآفاقُ والمحيطات شاهدة على وجوده وخلقه وهيمنته سبحانه وتعالى؛ وبذلك نزلَ الوحيُ الشريف على الأنبياء والرسل، بأدلة هي أجلُ من أن تُحصرَ، وفي كل شيء له آيةٌ وعليه دليل...

* عند الأشاعرة والماتريدية (أهل الكلام):

فدليلُ إثباتِ وجود الله سبحانه هو: الحدوثُ والقِدم؛ فكلُّ حادثٍ لابدَ له من مُحْدِثٌ أقدمَ منه؛ وهو اللهُ تعالى؛ فهو واجبُ الوجود وبه قامَ كلُّ موجود ...

وهنا، مفارقةٌ، بين أهل السنة والجماعة وبين الأشاعرة، لا بدّ من ذكرها وهي، أنّ التوحيد والإيمانَ ثابتٌ عند أهل السنة، بالفطرة، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ

لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠] . قال عبد الله بن عباس: (فِطْرَتَ اللَّهِ) دين الله (الَّتِي فَطَرَ النَّاس عَلَيْهَا).

فالإيمان بالله عز وجل ووجوده، أمر لا شك ولا جدال فيه عند أصحاب العقول السليمة والفِطَر السوية، لذلك يقول ﷺ: كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه.

* **أما عند الأشاعرة الماتُريدية:** لا يحصل التوحيدُ، إلا بالنظر، أو القصدُ إلى النظر، كما صرح بذلك أبو منصور الماتريدي، في كتابه" التوحيد"، فلو بلغ المرءُ سنَّ التكليف، وجبَ عليه النظرُ ثم الإيمان، ولا يصح منه الإيمانُ بالمعرفة الفطريَّة...

زعموا!!!

يقَوْلُ الباقِلَّانيِّ: (أوَّلُ ما فَرَضَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ على جَميعِ العِبادِ النَّظَرُ في آياتِه، والاعْتِبارُ بمَقْدوراتِه، والاسْتِدْلالُ عليه بآثارِ قُدْرتِه وشَواهِدِ رُبوبيَّتِه؛

لأنَّه سُبْحانَه غَيْرُ مَعْلومٍ باضْطِرارٍ، ولا مُشاهَدٍ بالحَواسِّ، وإنَّما يُعلَمُ وُجودُه وكَوْنُه على ما تَقْتَضيه أفْعالُه بالأدِلَّةِ القاهِرةِ، والبَراهينِ الباهِرةِ) (١).

***

(١) انظر كتاب: (الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به).

* ثالثًا:

مقام التوحيد

* عند أصحاب الحديث:

التوحيد عند أهلِ السنة والجماعة أهل الحديث، هو إفراد الله تعالى بما يختصُ به من الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.

فهو اللهُ الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لا شريك له ولا ولد، وهو الربُّ العلي الذي له من الأسماء، أحسنُها، ومن الصفات أجملُها وأكملُها، ومن الأفعال أحكَمُها؛ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

ويُعدُ التوحيدُ، هو أولُ واجِبٍ على المُكلفين معرفتُه والعملُ بمقتضاه، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

والتوحيدُ عند أهل السنة والجماعة أهل الحديث، يشملُ إفراد الله تعالى بالعبادة، وإفراده سبحانه، بالفعل والإرادة والقدرة، وإفرادُه بأسماءٍ وصفاتٍ له سبحانه، لا تشبيه فيها ولا تكييف.

ويجب أنّ نعلم أنّ أعظمَ مقامٍ من مقامات التوحيد عند أهل السنة والجماعة، هو مقام العبودية، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالإله الحق، هو المعبودُ بحقٍ وحده لا شريك له، خضوعاً له وتذللاً، لقدرته، وعظمته عز وجلّ.

فلا إله إلا الله، لا معبود بحقٍ إلا الله.

فالله الغنيُ عن كلِّ ما سِواه ومُفْتَقِرًا إليه كلُّ ما عَداه.

وبهذا المعنى كانت دعوة الرسل والأنبياء، فأساس الملة وأساس الدين في شريعة كل رسول توحيد الله والإخلاص له.

وزبدة رسالتهم عليهم الصلاة والسلام، هي التذلل والإذعان والخضوع لله، بإفراده بالعبادة عما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] .

ولذلك لما قال الرسول عليه الصلاة والسلام لقومه: قولوا لا إله إلا الله، أي: لا تعبدوا غير الله! استنكروا ذلك، واستغربوه، لأنه خلاف ما هم عليه وآباؤهم، فقد ساروا على الشرك، وعبادة غير الله...

توحيد الأفعال [الربوبية]:

فأهل السنة يؤمنون بأن الله تعالى هو المتفرد بالخلق والقدرة والرزق والهيمنة والتدبير وغير ذلك، فيسلمون لقدرته، ويوقنون بحِكمته، لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وتوحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمانُ بما وصف به نفسه تبارك وتعالى، ووصفه به نبيُه ﷺ، دون كيفٍ، ولا تأويلٍ يُفسدُ المعنى ويُعطله، فالمعنى معلوم والكيفُ مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والخوضُ والجدلُ به بدعةٌ... فمذهبُ أهل السنة والجماعة أهل الحديث في هذا الباب، الوقوفُ عند النص، والإيمان بالمعنى والوصف، دون النظر والبحثِ في الكيف...

مثاله: قال الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] ؛ فالوجه مثبَتٌ لله عند أهل السنة والجماعة، إيمانا بهذه الآية القرآنية، ويقرونه بألسنتهم، ويصدقونه بقلوبهم، من غير تشبيه وجه ربِنا بأحدٍ من المخلوقين، عزَّ ربُنا عن أن يشبه المخلوقين، وجلَّ ربُنا عن مقالة المعطلين... هذا قول أهل السنة وهذا هو مذهبهم.

هذا وقد جاء رجلٌ من الأعرابِ إلى النبي ﷺ، ليسأله: أقريبٌ ربُنا، فنناجيه، أم بعيدٌ، فنناديه؟

فسكت النبي ﷺ، فأنزلَ الله تعالى قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

هذا هو التوحيد باختصار شديد عند أهل السنة والجماعة أهل الحديث.

* **أما عند الأشاعرة والماتُريدية أهل الكلام،** فأقولُ:

إن الناظر في كُتبهم، يجدُ بأنَّ التوحيد عندهم يَشمَلُ ثَلاثةَ أمورٍ:

١ - أنَّ اللهَ واحِدٌ في ذاتِه لا قَسيمَ له.

٢- وأنَّه واحِدٌ في صِفاتِه لا شَبيهَ له.

٣- وأنَّه واحِدٌ في أفْعالِه لا شَريكَ له(١).

---

(١) ينظر في ذلك: (الرسالة القشيرية) للقشيري (٢/ ٤٦٢)، (الشامل في أصول الدين) للجويني (ص: ٣٤٥)، (الاعتقاد) للبيهقي (ص: ٥٩).

قالَ الشَّهْرَسْتانيُّ: (قالَ أصْحابُنا: الواحِدُ هو الشَّيءُ الَّذي لا يَصِحُّ انْقِسامُه؛ إذْ لا تَقبَلُ ذاتُه القِسْمةَ بوَجْهٍ ولا تَقبَلُ الشَّرِكةَ بوَجْهٍ؛ فالباري تَعالى واحِدٌ في ذاتِه لا قَسيمَ له، وواحِدٌ في صِفاتِه لا شَبيهَ له، وواحِدٌ في أفْعالِه لا شَريكَ له)(١).

* فلا يوجدُ ذكرٌ عندهم لتوحيد الألوهية الذي فيه مقامُ العبوديّة!!

حتى أنهم يفسرون الإله، بالقادر على الاختراع، كما صرح بذلك الفخر الرازي.

ويقول عَبْدُ القاهِرِ الأسْفَرايينيُّ: (اخْتَلَفَ أصْحابُنا في مَعْنى الإلهِ؛ فمِنهم مَن قالَ: إنَّه مُشْتَقٌّ مِن الإلَهيَّةِ، وهي قُدْرتُه على اخْتِراعِ الأعْيانِ، وهو اخْتِيارُ أبي الحَسَنِ الأشْعَريِّ)(٢).

فالتوحيدُ عندهم، هو توحيدُ الأفعال، وتوحيدُ الذات، فالله هو الإله القادرُ على الاختراع.

---

(١) كما في [الملل والنحل] (١/ ٤٢).

(٢) كتاب "المطالب العالية من العلم الإلهي".

وهذا المقام من مقامات التوحيد، كانت تؤمن به طوائفُ العربِ من الذين نزلت عليهم الرسالة، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦١-٦٣].

وأخصُّ خصائص التوحيد عندهم:

نفيُ التركيبِ والتجزئة والتبعيض عن الله تبارك وتعالى فالله عندهم واحدٌ في ذاته، لا شبيه له، وكل صفةٍ تُنبي على التركيب والتجزئة والتبعيض، فهي منفيَّةٌ عن الله، ولذلك، نفوا الصفات الذاتية لله تعالى، التي أثبتها له، وآمن بها أهلُ السنة السَّنية، مثل:

الوجه، واليدين، والساق، والعين، وغيرها من صفاتٍ نطقَ بها القرآن، وأثبتتها أخبارُ النبي ﷺ، فقالوا مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]؛ أي: ويبقى ثواب ربك، وهذا المعنى قد مُلئت به كتُبِهم.

فعطلوا الصفات، وحرفوا الآيات، ظناً منهم، بأنَّ هذا هو التوحيد المطلوبُ تحققه!!

وخاضوا، بأشياء، لم يأمر بها الله، ولم ينشغل بها رسلُه، فلبسوا على الناس، وعكروا عليهم صفوَّ إيمانهم!!

***

*** رابعًا:**

في حقيقة الايمان

الإيمانُ عند أهلِ السنة والجماعة أهلِ الحديث قاطبةً، قائمٌ على أركانٍ ثلاث:

١ - الاعتقاد، بالجَنَان.

٢ - القول، باللسان.

٣- العملُ، بالجوارح، والأركان.

*سئل القاضي فضيل بن عياض عن الإيمان، فقال: (الإيمان عندنا داخله وخارجه الإقرار باللسان، والقبول بالقلب، والعمل) [(١)].

وقال الإمام الشافعي: (الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر).

فلا بدّ مع الإيمان، قولٌ، وعمل.

ولا ينفكُ العملُ عند أهل السنة عن الإيمان، فهما متلازمان.

---

(١) رواه عبد الله في "السنة" ١/ ٣١٥ - ٣١٦ (٦٢٧)، ورواه الخلال في "السنة" ٢/ ٣٧ - ٣٨ (١١٦٣)، عن المروذي، عن أحمد به.

يقول التابعي الكبير عبيد بن عمير الليثي: (ليس الإيمان بالتمني، ولكن الإيمان قول يعقل وعمل يفعل). وقريبًا منه عن الحسن البصري[١].

وقال الإمام مالك: (الإيمان قول وعمل).

وهذا في كلام السلف كثير، بل إنك لا تكاد تجدُ أيضاً في القرآن ذكرَ الإيمان إلا ومعه ذكرُ العمل.. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: ٩٦]. وقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العصر: ١-٣]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٧﴾ [البقرة: ٢٧٧].

* بل إنَّ الله تعالى لما ذكر أهل الإيمان، وصفهم بأنهم يحافظون على الأعمال فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

(١) كما في "سيرة الإمام أحمد" لصالح ص ٨١.

فالوجلُ، والتوكلُ، والإذعانُ، من عمل القلب، والجوارحُ صدقت هذا القلبَ، بخضوعها وإذلالها لله تعالى بالعمل بطاعته، وامتثال أمره.

وروى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس قوله ﷺ: (آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَتُعْطُوا مِنْ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ). وغير ذلك من أدلة.

كما أنَّ الإيمان، عند أهل السنة والجماعة أهل الحديث، يزيد وينقص، قال إمامُ أهل السنة والجماعة، أحمد بن حنبل كما في "أصول السنة": (وَالْإِيمَان قَول وَعمل يزِيد وَينْقص كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَر).

قال الإمام يحيى بنُ سَعيدٍ القَطَّانُ كما في مسائل ابن هانئ للإمام أحمد: (ما أدركتُ أحدًا من أصحابِنا إلَّا على سُنَّتِنا في الإيمانِ، [يعني، أنه قولٌ وعمل] ويقولون: الإيمانُ يَزيدُ ويَنقُصُ).

وقال أيضًا: (كُلُّ من أدركتُ مِن الأئمَّةِ كانوا يقولون: الإيمان قَولٌ وعَمَلٌ، يَزيدُ ويَنقُصُ).

وقال القاضي عياض رحمه الله: (وقال غير واحد: سمعت مالكاً يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض) انتهى(١).

والأدلةُ على صحة هذا المعتقد، من القرآن كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا)(٢) .

وأخرج الطبراني، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: (إنَّ الإيمانَ ليَخلَقُ في جوفِ أحدِكم كما يَخْلَقُ الثوبُ، فاسأَلوا اللهَ أن يُجدِّدَ الإيمانَ في قلوبِكم).

وتجديده وزيادته، تكون بفعل الطاعة.

---

(١) "ترتيب المدارك" (١ / ٥٢) وانظر: "سير أعلام النبلاء" (٨ / ١٠٢).

(٢) رواه الترمذي وأبو داود.

*وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضًا:

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص.

وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: (هلموا نزدد إيمانًا، فيذكرون الله عز وجل).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: (اللّهم زدنا إيمانًا، ويقينًا، وفقهًا).

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: (اجلس بنا نؤمن ساعة).

وأما نقصانُه:

* فالإيمانُ عند أهل السنة، ينقصُ، ونقصانه، بترك الأعمال، والذكر، وينقصُ الإيمان بالترك حتى لا يبقى منه شيء.

قال صالح: سألت أبي [أي: أحمد بن حنبل] عمن يقول: الإيمان يزيد وينقص، ما زيادته ونقصانه؟

فقال: زيادته بالعمل، ونقصانه بترك العمل، مثل تركه الصلاة والزكاة والحج وأداء الفرائض، فهذا يُنقصْ، ويزيد بالعمل.

وقال: إن كان قبل زيادته تامًّا، فكما يزيد كذا ينقص.

❊ أما الإيمان، عند الأشاعرة والماتُريدية، أهل الكلام.

فالناظِرُ في كتبهم، يجدُ اختلافًا بينهم، في تحقيق الإيمان؛ على حسبِ طبقاتهم.

فأبو منصور الماتُريدي، في كتابه" التوحيد"، يُحققُ الإيمانَ بمجردِ التصديق والمعرفة القلبية فحسب.

وعليه جمهورُ الأشاعرةِ والماتُريدية.

قال أبو المعالي الجويني: (والمَرْضِيُّ عنْدَنا أنَّ حَقيقةَ الإيمانِ التَّصْديقُ باللهِ تَعالى، فالمُؤمِنُ باللهِ مَن صَدَّقَه)[١].

وزاد، في كتابه" العقيدة النظاميَّة ": إقرارُ اللسان. ويعني: التلفظ بالشهادتين.

---

(١) كما في كتابه: "الإرشاد الى قواطع الادلة في أُصول الاعْتِقاد))"

وقالَ الغَزاليُّ في كتابه "قواعد العقائد": (الإيمانُ هو التَّصْديقُ المَحْضُ، واللِّسانُ تُرْجمانُ الإيمانِ).

فالإيمانُ عند جمهورِ الأشاعرة؛ يتحققُ: بالتصديق لما جاء به الرسولُ ﷺ، إجمالاً وتفصيلاً؛ والنطقُ باللسان، بإقرار ما وقرَّ في قلبه، من الاعتراف، والتصديق، بصانع العالم وصفاته، وأنبيائه، وبذلك يكونُ مؤمناً ظاهراً وباطنا.

* فهم يُخرجون العملَ عن حقيقة ومسمى الإيمان، وقد وقفت على كلامٍ لأبي حامد الغزّالي، في كتابه "قواعد العقائد"، يذكرُ فيه مقامَ الإيمان ومقامَ الإسلام، فيجعلُ الإيمان، التصديق والإذعان القلبي، والإسلام، هو الطاعةُ والانقياد بالجوارح.

فليتأمل.

*والأشاعِرةِ على خِلافٍ بينهم في مَسألةِ زِيادةِ الإيمانِ ونُقْصانِه؛ فمِنهم مَن أَثبَتَ الزِّيادةَ والنُّقْصانَ في الإيمانِ، فوافق أهلَ السنة والجماعة.

ومِنهم مَن لم يُثبِتْ ذلك، وجعلَ الإيمان جملةً واحدةً، وأنه كلٌّ لا يتجزأ، وعلل ذلك عقلاً، يقول الفخرُ الرازي: (هو فرعُ تفسير الإيمان، فإن

قلنا: هو التصديق، فلا يقبلهما [أي، الزيادة والنقصان]، لأنّ الواجبَ هو اليقين، وإنه لا يقبلُ التفاوت، لأن التفاوت، إنما هو احتمالُ النقيض، وهو ولو بأبعدِ وجهٍ يُنافي اليقين).

ومِنهم مَن فَصَّلَ في المَسْألةِ، فجعله قابلاً للزيادة، دون النقص. والله تعالى هو الهادي.

ويتفرعُ عندنا مسألة ألا وهي: **الاستثناء في الإيمان.**

بمعنى، أن تقول: (أنا مؤمنٌ أرجو)، أو أن تقول: (أنا مؤمنٌ إن شاء الله)، فهل هذا يكون من المؤمن المتحقق من إيمانه، أم أنه شكٌ في الإيمان؟!

ضابطُ المسألة عند أهل السنة، والجماعة أهل الحديث، هو: أنّ الإيمانَ، مُتَعلقٌ بالعمل، وكمالُه بكمال العمل، فالاستثناء، يُزيلُ التزكية والعُجب، ويُبقي الخشية والرجاء. لذلك، كان أهلُ السنة والجماعة، على صحة، وجواز الاستثناء في الإيمان.

قال حرب الكرماني: سُئل أحمد بن حنبل: ما تقول في الاستثناء في الإيمان؟

قال: نحن نذهب إليه.

قيل: الرجل يقول: أنا مؤمن إن شاء اللَّه؟

قال: نعم.

وقال: سألت إسحاق قلت: أنت تقول: أنا مؤمن إن شاء اللَّه؟

قال: نعم(١).

* والأشاعرةُ، في الاستثناء في الإيمان، لهم تفصيل بحسب الزمان، ذكره أبو بكر الباقِلَّانيُّ وغيره من مشيختهم، مثل الجويني، والغزالي.

قالَ الباقِلَّانيُّ: (يَجِبُ أن يُعلَمَ أَنَّه يَجوزُ أن يقولَ العَبْدُ: أنا مُؤمِنٌ حَقًّا، ويَعْني به في الحالِ، ويَجوزُ أن يقولَ: أنا مُؤمِنٌ إن شاءَ اللهُ ويَعْني به في المُسْتقبَلِ، فأَمَّا في الماضي وفي الحالِ فلا يَجوزُ أن يقولَ: إن شاءَ اللهُ؛ لأنَّ ذلك يكونُ شَكًّا في الإيمانِ، ولأنَّ الاسْتِثْناءَ إنَّما يَصِحُّ في المُسْتقبَلِ، ولا يَصِحُّ في الماضي)!!

والإيمان، عند أهل السنة، أركانٌ وشُعب، كما جاء في الأخبار عن رسول الله، قوله: (الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة: فأفضلها

---

(١) مسائل حرب الكرماني.

قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (١).

*وضدُ العمل الترك، فلذلك كانت المحرمات عند أهل الحديث، كبائر، وصغائر، ومنها ما يوقعُ المرء في الكفر والعياذ بالله.

كالسجود للصنم، وترك الصلاة، وغير ذلك.

فمُعْتَقَدَ أهْلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ أنهم يَجعَلونَ الكُفْرَ بالاعْتِقادِ، أو القَـوْلِ، أو العَمَلِ، أو التَّرْكِ، سواءٌ كانَ ذلك اعْتِقادًا أو عِنادًا معَ التَّصْديقِ أو اسْتِهْزاءً ولَعِبًا!

* **وأما الأشاعرة**، فإنهم يذهَبون: إلى أنَّ الكُفْرَ هو تَكْذيبُ القَلْبِ أو جَهْلُه، ولا يَرَوْنَ أيَّ عَمَلٍ أو قَوْلٍ كُفرًا بذاتِه، حتَّى السُّجودَ للصَّنَمِ!

وإنَّما يَجعَلونَ مِثلَ تلك الأعْمالِ والأقْوالِ عَلامةً على الكُفْرِ الَّذي هو التَّكْذيبُ، وقَرَّروا أنَّ مَن حُكِمَ بكُفْرِه فلِعَدَمِ تَصْديقِ قَلْبِه.

***

(١) متفق عليه.

* خامسًا:

القولُ في القرآن

بدايةً:

يجبُ أن نعلمَ، أنّ الله عز وجلّ، مُتكَلِّمٌ قَائِل، أَوَّلًا وَآخِرًا، كان ولَمْ يَزَلْ لَهُ الْكَلَامُ، وَلَا يَزَالُ لَهُ الْكَلَامُ إِذْ لَا يَبْقَى مُتكَلِّمٌ غَيْرَهُ، فيَقُولُ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ﴾ [غافر: ١٦] ؛ أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟

فَلَا يُنْكِرُ كَلَامَ اللَّهِ عز وجل إِلَّا مَنْ يُرِيدُ إِبْطَالَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل، وَكَيْفَ يَعْجِزُ عَنِ الْكَلَامِ مَنْ عَلَّمَ الْعِبَادَ الْكَلَامَ، وَأَنْطَقَ الْأَنَامَ؟!

قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]. فَهَذَا لَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا غَيْرَ نَفْسِ الْكَلَامِ.

وَقَالَ لِمُوسَى: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وَقَالَ: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ٦٤].

وَقَالَ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١﴾ [الصافات: ١٧١].

وَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠]. وَقَالَ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨].

وقال: ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

وسُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ آدَمَ، فَقَالَ: «كَانَ نَبِيًّا مُكَلَّمًا».

❊ **أما الأشاعرةُ والماتُريدية** (أهل الكلام)، فإنهم يثبتون صفةَ الكلام الأزليّة، لله تعالى، قال الجويني في " لمع الأدلة":

(صانع الْعَالم سميع وبصير مُتكَلم. إِذْ قد ثَبت كَونه حَيا والحي لَا يَخْلُو عَن الاتصاف بِالسَّمْعِ وَالْبَصَر وَالْكَلَام وأضدادها، وأضداد هَذِه الصِّفَات نقائص، والرب سبحانه وتعالى يتقدس عَن سمات النَّقْص...).

❊ **والقرآن المجيد:**

عند أهل السنة والجماعة أهلِ الحديث: هو من كلامِ الله تعالى [غيرُ مخلوقٍ]، كيفَ قُرأ، وكيفَ كُتب، وكيفَ يتُلي، فهو كلامُ الله غير مخلوقٍ ولا مُحدَثٍ، ولا مُختَلق.

سمعه جبريلُ عليه السلام، من رَبِنا تبارك وتعالى، ثم نزلَ به مُنجماً على قلبِ نبينا ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ

ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

والقراءةُ منه هي المقروءة، والكتابة منه هي المكتوبة، والمتلوُّ منه هو التلاوة، والصوتُ صوتُ القاري، والمتلوُّ هو كلامُ الله تبارك وتعالى.

وهذا بإجماعِ أهل السنة، والجماعة أهل الحديث.

يقول تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وَقَالَ سبحانه: ﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [البقرة: ٧٥].

وَقَالَ تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ١٥].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ، فَيَقُولُ: «أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلِمَاتِ رَبِّي»[1] .

وغير ذلك من النصوص...

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

* **أما الأشاعرةُ الماتُريدية** من أهل الكلام، فقولهم في القرآن، بأنه، معنىً قائمٌ بنفسه تعالى، فيه أمرٌ ونهي وخبر، أخذه جبريلٌ بأمرٍ من الله، عن اللوح المحفوظ، وقرأه على النبي محمد ﷺ بحرفٍ وصوتٍ مُحدَثانِ مخلوقان!!

فهو عندهم، ليس كلاماً لله تعالى على الحقيقة.

قال الباقلاني: (والنازل على الحقيقة المنتقل من قُطر إلى قُطر، قول جبريل عليه السلام، يدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠]. وهذا إخبار من الله تعالى بأن النظم العربي الذي هو قراءة كلام الله تعالى: قول جبريل، لا قول شاعر، ولا قول كاهن...)[(١)].

وقال الجويني: (فإن معنى قولهم-أي المعتزلة- هذه العبارات كلام الله: أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله)[(٢)].

وقال الفخر الرازي: (أَنَّ الْقُرْآنَ اسْمٌ يُقَالُ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى الصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ الْقَائِمَةِ بِذَاتِ اللَّه تَعَالَى، وَعَلَى هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، وَلَا نِزَاعَ

(١) الإنصاف (ص/١٤٧) بتصرف في سرد الآية.

(٢) الإرشاد(ص/١١٧).

فِي أَنَّ الْكَلِمَاتِ الْمُرَكَّبَةَ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ، وَالتَّحَدِّي إِنَّمَا وَقَعَ بِهَا لَا بِالصِّفَةِ الْقَدِيمَةِ) [١].

وقال الإيجي: (فاعلم أن ما يقوله المعتزلة وهو خلق الأصوات والحروف، وكونها حادثة فنحن نقول به، ولا نزاع بيننا وبينهم في ذلك، وما نقوله من كلام النفس: فهم ينكرون ثبوته) [٢].

وقال البيجوري: (ومذهب أهل السنة [يقصد الاشاعرة]! أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق.

وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق، لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم؛ لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق) [٣] ا. هـ

فهو يُثبت بأنَّ القرآن بمعنى كلامه النفسي، غير مخلوق.

ويقول: إطلاق كلام الله على القرآن مجاز.

---

(١) تفسير سورة يونس ٣٧ الى ٣٩.

(٢) المواقف (ص/٢٩٤).

(٣) تحفة المريد جوهرة التوحيد (ص ٩٤):

وقال البوطي:[١] (أما جماهير المسلمين أهل السنة والجماعة، فقالوا: إننا لا ننكر هذا الذي تقوله المعتزلة، بل نقول به، ونسميه كلاماً لفظياً، ونحن جميعاً متفقون على حدوثه وأنه غير قائم بذاته تعالى؛ من أجل أنه حادث).



(١) كبرى اليقينيات (ص/١٢٥) ... وهو من علمائهم المعاصرين.

* سادسًا:

التأويل، والقول في المجاز والصفات الإلهية

* مذهب أهل الحديث:

بأنّ الأصلّ هو: حملُ اللفظ على ظاهره، إلا لدليل صحيح يجعله أكثرَ وضوحاً وبياناً وتفسيرا، مثل قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]. وبيانه: دُلنا وأرشدنا ووفقنا للطريق المستقيم الواضح الموصلِ إليك وهو لزوم السنة..

* فتبينَ من خلال هذا المثال، بأنّ التأويل هو الرجوع إلى المعنى الظاهر بزيادة توضيح وبيان.

* لذلك أهل الحديث، في باب المجاز، لا ينكرون وجوده في القرآن الكريم مطلقا؛ بل يجعلونه ممكنا في بعض ألفاظ القرآن، مثل قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. وقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]. أي: أولياء الله، وهذا كلّه مجاز لأنه استعمال اللفظ في غير موضعه الأصلي على وجهٍ يصحُ..

* والمجاز عند أهل الحديث، لا يُصارُ إليه إلا عند امتناع حمل اللفظ على الحقيقة، فمتى أمكن حملُ اللفظ على الحقيقة امتنع حمله على المجاز.

* لذلك كان مذهب أهل السّنة قاطبة نفيُ المجاز عن آيات صفات الباري جلّ وتبارك وعلا، وحملها على حقيقتها ومعناها مع بيان مقتضيات النصوص لها، دون التعرض للكيفية الغيبية التي لم يطلع على حقيقة كنهها أحدٌ من العالمين، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

* **أما الأشاعرة والماتريدية** (أهل الكلام):

فمذهبهم التوسع في التأويل وصرف ظواهر النصوص والكلام عن حقيقته وأصله، إلى أوجهٍ محتملة ولا تتعدى بأن تكون ظنية، من حيث الدلالة النقلية أو أنها لا تصح لغة بلسان العرب.

فهم يصرفون اللفظ عن المعنى الحقيقي الظاهر الراجح إلى معنىً مرجوح ضعيف لقرينة توهموا بأنها صحيحة.

وهذا مما جعلهم يتوسعون بتأويلات النصوص والقول في المجاز دون ضبط وربط، فخاضوا بأوهامهم بحرا لجيّ لا ساحل له ولا نجاة منه،

حتى عطلوا صفات الباري عز وجل الذاتية؛ بمحض عقولهم وأهواء آرائهم؛ فقال قائلهم:

وكلُّ نصٍّ أوهمَ التشبيها!　　　أوله أو فوّض ورُم تنزيها

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

***

الخاتمة:

بهذا تبين لكلّ بصير، بأنَّ مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحديث، يختلف (في أصوله الأصلية، وقواعده الكلية)، عن مذهب الأشاعرة والماتريدية، إلا أنَّ الإنصاف مع المخالف، يجعلنا نذكرَ موافقتهم لأهل السّنة والجماعة أهل الحديث، في بعض الأصول والكليات، فالأشاعرة والماتريدية، يتفقون معنا في :

* الإمامة وأنّ المستحق لها أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، رضي الله عنهم.

* وكما يتفقون معنا على حب وتعظيم الصحابة الكرام وآل البيت الأطهار.

* ومذهبهم: عدم حمل السيف على الإمام والخروج عليه؛ وهو مذهب أهل الحديث.. ومن أجل ذلك توهمّ بعض الناس بأنهم من أهل السنة والجماعة لموافقتهم هذه الأصول لأهل الحديث جماعة الإسلام من أتباع السلف، والقرون الفاضلة، والله الهادي لا ربّ سواه.

* وجدير بك أخي القارئ الكريم، بأن تعرف حقيقة علم الكلام:

إنه علم محدث قد أحدثه المتفلسفة واستمدوه من المتكلمين من أهل اليونان، وأدخلوه في أصول الدين، وجعلوه قاضيا على صحة عقائد المسلمين بطرق ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بمحض عقولهم، واستحسان طرقهم، مما جعل العلماء ينهون ويحذرون من الخوض في علم الكلام...

قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يفلح صاحب كلام أبدا).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: (حُكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام).

وقال الحافظ ركن الدين ومحي السّنة أبو محمد البغوي رحمه الله: (واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام، وتعلمه) انتهى [١].

وقال المحدّث الفقيه المؤرخ أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله: (أجمع

---

(١) شرح السنة (١/ ٢١٦).

أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ولا يعدون عند الجميع في طبقات الفقهاء، وإنما العلماء أهل الأثر، والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه: بالإتقان، والمَيْزِ، والفهم). انتهى(١).

* ثم اعلم وفقني الله واياك لمرضاته؛ وجعلنا ممن يخشاه ويتقونه حق تقاته بأنّ الخوض في علم الكلام يورث حيرة العقل؛ ووسوسة الصدر؛ ويطفيء نور القلب؛ فأهل الكلام حيارى تائيهين! خاضوا بحرًا لا ساحل له؛ بحر لجيّ فيه ظلمات بعضها فوق بعض؛ فهو علم مذموم متعلق بالمتناقضات؛ وتطويل المقالات وأكثرها ترهات وهذيانات؛ تزدريها الطباع؛ وتمجّها الأسماع... انتهى(٢).

ولذلك قال فخر الدين الرازي إمام الأشاعرة: لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، **أقرأ في الإثبات**: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. و﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله.

(٢) ملخصًا من كلام امام الأشاعرة الغزالي الطوسي.

١٠]. **وأقرأ في النفي:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] .

* ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي(١).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ثم قيل: إنه ندم على دخوله في هذا الفن، كما قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح رحمه الله: أخبرني القطب الطوغاني مرتين، أنه سمع الفخر الرازي يقول: ليتني لم أشتغل بعلم الكلام؛ وبكى!!

ومن شعره وكلامه:

نهاية إقدام العقول عقال   وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

انتهى(٢) .

---

(١) نقله عنه تقي الدين ابن تيمية في "بيان تلبيس الجهمية" (٨/ ٥٣٠).

(٢) كما في (طبقات الشافعية) (١/ ٧٨٠). وهذه الأبيات نقلها عنه الحافظ السبكي وغيره ممن ترجم له، انظر: (طبقات الشافعية الكبرى) (٨/ ٩٦).

❋ قصة الرازي والعجوز: يحكى أن فخر الدين الرازي، ذهب يومًا إلى نيسابور، فاجتمع الناس حوله، وازدحموا إليه إلا امرأة عجوز، كانت جالسة لا تأبه به فقيل لها: ألا تأتين لتري الرازي؟!

قالت: ومن الرازي هذا؟!

فقيل لها: إنه عالم يعرف ألف دليل على وجود الله.

فقالت المرأة: لو لم يكن في قلبه شك لما احتاج الى ألف دليل!!

أفي الله شك فاطر السماوات والأرض؟!

فلما بلغ الرازي هذا بكى، وقال: اللّهم ايمانا كإيمان العجائز.

❋❋❋

والحمد لله على نعمة الإسلام والسنة

كتبه:

فرحات الطويل.

في مجالس متعددة، كان أخرها ظهر يوم الأربعاء

٥ ربيع الأول ١٤٤٥ هجرية.

الموافق ٢٠/ ٩ / ٢٠٢٤ ميلاديه.

***

مراجع كتب مذهب أهل السنة والجماعة أهل الحديث

كتاب " الإيمان " للقاسم بن سلاَّم .

كتاب "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" لأبي عثمان الصابوني .

كتاب " العقيدة" رواية ابي بكر الخلال.

كتاب " شرح السنة" للمزني.

كتاب " متن الطحاوية" للطحاوي.

كتاب " اعتقاد أئمة الحديث" للجرجاني.

كتاب "الاعتقاد " لابن أبي يعلى.

كتاب " الاقتصاد في الاعتقاد " لعبد الغني المقدسي.

كتاب " رسالة في القرآن وكلام الله" لموفق الدين ابن قدامه.

كتاب "لمعة الاعتقاد "لموفق الدين ابن قدامه.

كتاب " روضة الناظر وجنة المناظر" لموفق الدين ابن قدامه .

كتاب " جزء ذكر فيه اعتقاد السلف في الحروف والأصوات" لمحيي الدين يحيى أبي زكريا النووي.

كتاب " العقيدة الواسطية " لتقي الدين ابن تيمية.

كتاب "الإيمان " لتقي الدين ابن تيميه.

كتاب تجريد التوحيد المفيد " لأبي العباس أحمد المقريزي.

كتاب " اجتماع الجيوش الإسلامية " لابن قيم الجوزية.

كتاب " شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري " لأبي الفرج ابن رجب الحنبلي .

كتاب " أقاويل الثقات " لمرعي الكرمي.

كتاب " العين والأثر " لعبد الباقي البعلي.

كتاب " لوامع الأنوار البهية " لأبي العون السفاريني .

كتاب " التحف في مذاهب السلف " لعلي الشوكاني .

كتاب " قطف الثمر " لصديق حسن خان.

مراجع كتب مذهب الأشاعرة والماتريدية

كتاب " رسالة إلى أهل الثغر " لأبي الحسن الأشعري.

كتاب "التوحيد" لأبي منصور الماتريدي.

كتاب " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " لأبي بكر الباقلاني.

كتاب" الاقتصاد في الاعتقاد" لأبي حامد الغزالي الطوسي.

كتاب" المقصد الأسنى" لابي حامد الغزالي الطوسي.

كتاب" قواعد العقائد" لأبي حامد الغزالي الطوسي.

كتاب " مجموع رسائل الغزالي" لأبي حامد الغزالي الطوسي

كتاب" أصول الدين "لجمال الدين الغزنوي.

كتاب " معالم أصول الدين "لأبي عبد الله فخر الدين الرازي.

كتاب" أساس التقديس " لأبي عبد الله فخر الدين الرازي .

كتاب " العقيدة النظامية " لابي المعالي الجويني .

كتاب" لمع الأدلة في عقائد أهل السنة " لأبي المعالي الجويني .

كتاب" الشامل في أصول الدين "لأبي المعالي الجويني.

كتاب "غاية المرام " لسيف الدين الآمدي .

كتاب " المواقف" لعضد الدين الإيجي .

كتاب " مجرد مقالات أبي الحسن الأشعري" لابن فورك.

كتاب" العقيدة الكبري" لمحمد السنوسي.

كتاب" العقيدة الوسطى" لمحمد السنوسي .

كتاب "أم البراهين أو العقيدة الصغرى" لمحمد السنوسي .

كتاب "جوهرة التوحيد "لإبراهيم اللقاني.

كتاب" حل الأقفال" لأحمد التجاني .

كتاب" تحفة المريد" للبيجوري .

كتاب" فتح المجيد " للفلمباني .

كتاب" شرح الصاوي" لأحمد المالكي الصاوي..

***